الفصل الأول

بين اللغة والفكر

❖الفصل الأول : بين اللغة والفكر

المقدمة :

أولاً : اللغة : المفهوم والخصائص :

ثانيًا : وظائف اللغة :

ثالثًا : اللغة والتفكير :

رابعًا : اللغة والكتابة :

خامسًا : الكتابة والتفكير :

سادسًا : نظريات الاكتساب اللغوي :

1- النظرية السلوكية :

2- النظرية الفطرية :

3- النظرية المعرفية :

4- النظرية الوظيفية :

5- النظريات التفاعلية :

المقدمة :

يتميز الإنسان عن باقي الكائنات الحية بالقدرة على الرمز أي أن يجعل من الشيء رمزًا دالاً على شيء آخر ، فليس هناك نشاط إنساني ليس فيه أثر للرمز ، فالعلوم والفنون والدين ، والأخلاق وكافة الحياة الاجتماعية في ترابط أنواعها قائمة على الرمز ، وهذا ما يطلق عليه بمصطلح اللغة .

واللغة باعتبارها ظاهرة رمزية إشارية فهي تستهدف تحقيق غايات متعددة ، لعل من أهم وأعظم هذه الغايات هي تحقيق اتصال فعال بين بني البشر ، فاللغة هي وسيلة الفرد للتعبير عن رغباته وأحاسيسه ، وطريقه إلى تصريف شئون عيشه ، وإرضاء غريزة الاجتماع لديه كما أنها السبيل للإفصاح عن مكنون نفسه ، وأداة رئيسة من الأدوات التي تحقق آدمية الإنسان .

فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يستخدم مجموعة من الأصوات اللغوية للتعبير للاتصال مع غيره من البشر ، ولذا فإن اللغة هي صناعة إنسانية خالصة أو ملكة لسانية على حد تعبير (**ابن خلدون** ،2006 ، 1140) إذ يقول : اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني ، وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات ، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب ، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال ، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع ، وهذا هو معنى البلاغة ، والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال ؛ لأن الفعل يقع أولاً ، وتعود منه للذات صفة ، ثم تكرر فتكون حالاً ، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة .

فاللغة خاصة من خواص الإنسان وحده دون بقية المخلوقات، وبها يتميز عنها، ذلك أنها مرتبطة بالقدرة العقلية العليا التي يتمتع بها الإنسان دون سائر المخلوقات الأخرى ، حيث إن الإنسان بإمكانه الاتصال بالأفراد الآخرين ، وبالأشياء والموجودات المحيطة به مثل: الحيوانات الأخرى بالتذوق ، أو باللمس ، أو بالشم ، أو الرؤية... إلخ ، لكن الإنسان علاوة على ذلك يمكنه أن يتصل بهذه الأشياء وباللغة ، وهو وحده الذي لديه القدرة على تسمية مفاهيمه ، ومن هنا فاللغة تحقق إنسانية الإنسان ، ومعنى هذا أن اكتساب النظام الرمزي خاصية إنسانية ، من هذا يُعرَّف الإنسان أحيانًا بأنه حيوان رمزي ، كذلك يمكن القول: إن اللغة هي الإنتاج الأكثر غموضا للعقل الإنساني والأعظم خطورة له .

كما ترتبط وجود اللغة بوجود الجماعة اللغوية التي تستخدمها نطقًا واستماعًا وقراءة وكتابة ، علاوة على أن هذه الجماعة تحافظ عليها ، وتعمل على إنماءها وتطويرها في ضوء عوامل التطور اللغوي المتعارف عليها .

أولاً : اللغة : المفهوم والخصائص :

للغة علاقة وطيدة بالكلام واللسان ، فإذا كان الأول : نوع من السلوك الفردي الذي يتجلى عن طريق كل ما يصدر عن الفرد من أقوال ملفوظة أو مكتوبة ، فإن الثاني : يدل على النظام العام للغة ، ويضم كل ما يتعلق بكلام البشر ، وهو بكل بساطة لسان أي قوم من الأقوام، ويتكون من ظاهرتين مختلفتين " **اللغة** "**و**" **الكلام** (**حنفي بن عيسى** ، ، 1993 ، 63) .

ولقد عرفت اللغة تعريفات متعددة ، ولعل من أهم التعريفات التي طرحت في هذا المجال ما قدمه (**ابن جني** ، 2004 ، 34) في خصائصه بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وهي على وزن فُعلة من لغوت ، أي تكلمت وأصلها لغوة ككرة وقلة ، وثبة كلها لاماتها واوات لقولهم : كروت بالكرة، وقلوت بالقلة ؛ ولأن ثبة كأنها من مقلوب ثاب يثوب ، وقالوا فيها: لغات ولغون ككرات وكرون ، وقيل منها لغى يلغى إذا هذى؛ "ومصدره اللغا قال:

ورب أسراب حجيج كظم عن اللغا ورفث التكلم

وكذلك اللغو قال الله سبحانه وتعالى: (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) أي بالباطل ، وفي الحديث من قال في الجمعة صه فقد لغا" أي تكلم .

والتعريف السابق على الرغم من إيجازه إلا أنه يتضمن أربع قضايا كبرى هي مثار علم اللغة وهذه القضايا هي :

- **طبيعة اللغة** (**أصوات**) .
- **وظيفة اللغة** (**تعبير**) .
- **الطابع الاجتماعي للغة وارتباطها بالجماعة اللغوية التي تستخدمها وتعلمها أبناءها.**
- **الطابع العقلي والنفس للغة والذي يتمثل في علاقة الفكر باللغة .**

أما (**جون ليونز** ، 1987، 3-4) فقد توسع بدلالة كلمة لغة حتى أنه أطلق على مختلف نظم الاتصالات الأخرى اسم لغة ، سواء أكانت تلك النظم مجموعة رموز أم مجموعة أرقام وهي موضع جدال ، وأورد مجموعة من تعريفات اللغة كما يلي :

- **تعريف سابير** Sapir : اللغة طريقة إنسانية غير غريزية لتواصل الأفكار والانفعالات والرغبات بواسطة الرموز المنتجة إنتاجًا إراديًا .

- **تعريف بلوح وتراجر** Bloch & Trager: اللغة نظام اجتماعي من الرموز المنطوقة الاعتباطية تتعاون به مجموعة اجتماعية .
- **تعريف هال** Hall: اللغة نمط اجتماعي منظم يتواصل بها البشر ، ويتفاعل بها الواحد مع الآخر بواسطة الرموز الاعتباطية المسموعة – المنطوقة المعتاد استخدامها.

وعرفها (**لوريتو تود** ، 1994 ، 8) بأنها مجموعة من الإشارات التي نتواصل بواسطتها، والكائنات الآدمية ليست المخلوقات الوحيدة التي لديها نظام اتصالي محكم ، فلكل نوع من الحيوانات طريقته الخاصة في التواصل(*).

كما عرفها (نايف معروف ، 1998 ، 3) بأنها مجموعة إشارات تصلح للتعبير عن حالات الشعور ، أي عن حالات الإنسان الفكرية ، والعاطفية ، والإرادية ، أو أنها الوسيلة التي يمكن بواسطتها تحليل أية صورةٍ أو فكرةٍ ذهنيةٍ إلى أجزائها أو خصائصها ، والتي بها يمكن تركيب هذه الصورة مرّة أخرى بأذهاننا وأذهان غيرنا ، وذلك بتأليف كلماتٍ ، ووضعها في ترتيبٍ خاصٍ. وهذا التعريف يتضمّن وظيفة اللغة إجمالاً .

أو هي نظام من العلامات الصوتية الاعتباطية تستخدم في الاتصال بين بني الإنسان (صلاح حسنين ، 2007 ، 5) .

فاللغة نظام من الرموز الصوتية الاعتباطية التي تواضعت عليها الجماعة اللغوية ؛ بغية تحقيق فعال بين بعضهم البعض .

وفي ضوء العرض السابق يتضح عدة خصائص للغة منها :

1- اللغة سمة إنسانية :

لقد ثبت الآن بما لا يدع مجالاً للشك بأن الإنسان هو الذي يستخدم الأصوات اللغوية بطريقة تحقق له التواصل والتفاعل مع الآخرين ، ولذا فإن الفلاسفة قد حاولوا تمييز خصائص الإنسان

(*) تعيش الحيوانات في جماعات اجتماعية مثل : النمل ،النحل، والقردة وغيرها ، ولكل مجموعة منها وسيلتها الاتصالية ، ولها لغة تتفاهم بها بين أفرادها ، وعادة ما يتم الاتصال بين المجموعات الحيوانية بإطلاق صيحات كإشارات لدلالة معينة ، قد تدل هذه الصيحات على وجود الطعام ، أو على التحذير من خطر محدق ، أو كنوع من المغازلة ، ويتميز الإنسان – من بين الكائنات الحية – بقدرته على اختراع لغات يتفاهم بها مع أفراد مجتمعه ، أما الحيوانات فتملك بدورها لغة تتخاطب بها فيما بينها ، ومن لغات التخاطب الشائعة بين الحيوانات : الصيحات ، الرائحة والتلامس ، العواء ، اللون والرائحة فمثلاً :

- يتخاطب النمل عن طريق الرائحة والتلامس .
- يتخاطب النحل عن طريق الحركات والرائحة .
- تتخاطب القردة عن طريق الصيحات .
- تتخاطب الذئاب عن طريق العواء .
- تتخاطب الضفادع عن طريق النقيق .
- تتخاطب الطيور عن طريق الصوت واللون والرائحة .

بنعته بأنه حيوان ناطق ، بمعنى أنه الحيوان الوحيد القادر على التعبير عما بداخلة بطريقة صوتية (*)، ولذا يشير (**محمد حسن عبد العزيز** ، 1996 ، 17) بأن الباحثين يجمعون على أننا لا نستطيع تخيل فكرة ما بمعزل عن الألفاظ التي تصورها ، ولن يكون الفكر المجرد عن الألفاظ- إذا أردنا الدقة – فكرًا بأي مقياس ، وفي هذا المجال يذكر أحد فلاسفتنا المعاصرين أن ناطقية الإنسان تستند إلى ركيزتين هما : ممارسة التفكير ، **وممارسة الحياة في الجماعة** ، ويقرر أن البيان والإفصاح باللغة خطوة في سبيل الكشف عن النفس أو عن الغير وعن الكون .

2- **اللغة نظام :**

لولا أن اللغة منظمة ما كنا نستطيع تعلمها ، واستخدامها وسيلة للاتصال مع غيرنا من أعضاء المجتمع الواحد ، وإذا تساءلنا عن ظواهر هذا النظام فالملاحظة الأساسية هي أن كل لغة تحتوي على نظامين وليس نظامًا واحدًا : **نظام صوتي ونظام دلالي**، فالمتكلمون الوطنيون يستخدمون عددًا قليلاً من بين الأصوات التي ينتجها جهازهم الصوتي عندما يتكلمون، وهذا يعني أن لكل لغة عددًا معينًا من الأصوات ، كما أن هناك أيضا تركيبات محددة لهذه الأصوات تميز لغتهم عن لغة أخرى .

بمعنى أنها تقوم على النطق ، ذلك أنه على الرغم (من تعدد اللغات وتنوعها ، فكلها تحمل خصائص مشتركة أولها وأهمها أن كل اللغات تتكون من أصوات تصدرها أعضاء النطق الإنسانية هذه الأصوات ـ لتصبح ذات معنى ـ يجب أن توضع في شكل تتابعي محدد ومعين، مكونة من كلمات أو مجموعة من الكلمات ، هذه الكلمات أو مجموعها يجب أن تكون محل اتفاق أعضاء المجموعة اللغوية باعتبارها قيمًا رمزية تستحضر- ولو على وجه التقريب ـ في أذهانهم أفكارًا معينة (**ماريو باي** ، 1998 ، 41) .

فجميع اللغات البشرية ما هي في الواقع إلا نظام System، يتكون من مستويات ، ويتشكل من وحدات خاصة ، ورموز لها معان متعارف عليها ، بها يتواصل الناس ، ويحصل الإفهام والتفاهم بينهم شريطة الالتزام بهذا النظام وما يتميز به من ضوابط وقواعد ، فالمتكلم وإن كان ينتج اللغة فهو لا يتصرف بحريته المطلقة بل تبعًا لنظم اقتضاها العرف الاجتماعي للغة ، فهناك فرق بين مجرد الحديث باللغة والحديث بها موحدة الخصائص حسب نظام معين في توارد الكلمات وشكلها ، الأول مرجعه **شخصي** ، والثاني **طابعه اجتماعي** ، الأول هو عمل المتكلم، والثاني مهمة الباحث .

(*) تستخدم بعض الطيور والحيوانات الأصوات في عملية الاتصال ، لكن لا يطلق على هذه الأصوات لغة ؛ لأن ليس لها دلالة لغوية يرجع إليها .